المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللّهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: الصحابة الكرام أخذوا عن رسول الله ﷺ وكانوا جميعاً عدولاً فيما نقلوا عن النبي ﷺ، لذلك يعد عصر النبي ﷺ والعصر الذي تلاه عصر التابعين، والعصر الذي تلا عصر التابعين هي العصور الثلاثة التي تعد عصوراً زاهية في تاريخ المسلمين، لذلك هذه القرون الثلاثة كما قال ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

هؤلاء فهموا القرآن الكريم وفهموا توجيهات النبي عليه أتم الصلاة والتسليم الفهم الصحيح، ولا يعقل أن يأتي أناس في آخر الزمان فيفهمون عكس فهمهم، فلذلك نحن فيما نختلف فيه أحياناً نعود إلى فهم الصحابة الكرام لما جاء في القرآن الكريم، ونعود إلى فهم الصحابة الكرام لما جاء من حديث رسول الله ﷺ.

أيها الإخوة الكرام: الموقف الأول من مواقف الإيمان: اتباع النبي ﷺ. بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [**آل عمران: ٣١**].

والصحابي الأول الذي قال عنه النبي ﷺ: «**ما طلعت شمس بعد نبي أفضل من أبي بكر**».

لهذا قال: «**إنما أنا متبع ولست بمبتدع**»[(١)].

بل إن الله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ أن يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [**الأنعام ٥٠**].

وأمره أن يقول: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [**الأنعام: ٥٠**].

(١) أخرجه ابن سعد عن عروة.

obeikandl.com

وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ [الجن: ٢١].

وأمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [يونس: ٤٩].

فكلما عظم المنهج صغر الشخص، وكلما كبر الشخص صغر المنهج، فنحن معنا منهج من الله عز وجل، هو الكتاب والسُّنة، فأعظم إنسان في حياة المسلمين، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، وأمرنا أن نتبعه، إذاً اتباع النبي ﷺ هو الإيمان، الإيمان أن تتبع النبي العدنان.

الآن مرحلة ثانية: علينا أن نتبع أصحابه الكرام الذين فهموا عنه أعلى فهم وكانوا عدولاً في النقل عن رسولهم وعن رسولنا ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

إذاً ما أجمعت عليه الأمة أحد مصادر التشريع، لقول النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[1].

لذلك يعد من العقيدة الإسلامية أن نعتقد أن النبي ﷺ معصوم بمفرده، لأن الله عصمه، ولأن الله أمرنا أن نأخذ عنه، فكيف نأخذ عن غير المعصوم فهذا مستحيل، عصمه وأمرنا أن نأخذ عنه، فهو لا يخطئ لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في إقراره، ولا في مواقفه، ولا في صفاته، معصوم نأخذ عنه ما أمرنا وننتهي عما عنه نهانا ثم يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

الآن دقق لم لم يقُلْ قل أطيعوا الله ورسوله، فرق كبير بين أطيعوا الله ورسوله وبين، ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾، يعني النبي ﷺ يطاع استقلالاً من دون أن تربط أمره بآية، يطاع استقلالاً، لأن الله سبحانه وتعالى جعل كليات الدين في القرآن وأوكل إلى النبي ﷺ تفاصيل الدين، فهو مشرع، الشرع يستقى من كتاب الله ويستقى من حديث رسول الله الصحيح ثم يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

الحق واحد لا يتعدد أبداً، أما الباطل فمتعدد، لذلك أتت كلمة الصراط مفردة وأتت كلمة السبل المنحرفة جمعاً.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٦].

---

(١) رواه الطبراني عن أبي نضرة الغفاري.

obeikandl.com

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الحق لا يتعدد أبداً، إذا توهمت أن الحق متعدد، فالحق واحد وما سواه باطل، وينهانا الله عز وجل أن نختلف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ١٠٥].

إخواننا الكرام: عندنا اختلاف طبيعي حينما تقل المعلومات، اختلاف نقص المعلومات، وهذا اختلاف طبيعي، لا محمود ولا مذموم وصاحبه معذور، لكن هناك اختلاف غير طبيعي، فبعد أن تأتي الحقائق، وبعد أن تتوضح معالم هذا الدين فمن يختلف فهو في نفسه مرض.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

كتابنا واحد، ونبينا واحد، وإلهنا واحد، والجنة حق، والنار حق، والآخرة حق، ونختلف؟ هذا اختلاف مصالح واختلاف أهواء واختلاف حظوظ، وهذا الاختلاف يعد من أكبر المعاصي، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

لذلك أي إنسان يحاول أن يشق صفوف المسلمين، وأن يقيم الفرقة بينهم، مهما ادعى لهذا الشق وتلك التفرقة من أهداف براقة، فلسنا منهم في شيء قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾.

أيها الإخوة: علامة إخلاصك أنك تنتمي إلى مجموع المؤمنين، وعلامة ضعف إخلاصك أنك تنتمي إلى فقاعة صغيرة، لا شك أن للأخ الكريم مسجد، شيء طبيعي، لكن انتماءه لمجموع المؤمنين، لا شك أن لكل واحد منا أمًّا يحبها ويقدسها أحياناً، لكن لا يستطيع أن يبخس أمهات الآخرين، يعني نحن تماماً كمدارس منهجها واحد، وكتابها واحد، والمدرسون في هذه المدارس لهم أساليب متنوعة في نقل هذه المعرفة للطلاب.

إذاً أبرز ما في الإيمان الاتباع، في حقل الإيمان ليس هناك تفرد، ولا في شذوذ ولا في آراء شخصية، **"إنما أنا متبع ولست بمبتدع"**، لأن الدين من عند الله، لأنه توقيفي، والإله كامل في وحيه، وكامل في تكليف النبي أن يشرح هذا القرآن الكريم، فلذلك الدين لا يحتمل خطأ أبداً.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الدين لا يحتمل خطأ، فإما أن نعتقد جازمين ـ وهذا من لوازم الإيمان ـ أن

القرآن كله حق، وأن حديث رسول اللّه الصحيح حق، وأن هذين المصدرين معصومان من الخطأ هذا هو الإيمان، أما في موضوع مفاهيم الإيمان؛ فأول مفاهيم الإيمان الاعتقاد بعصمة مصدريّ هذا الدين: الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وثاني حقيقة من لوازم الإيمان اتباع الكتاب والسُّنَّة.

ففي صحيح الترمذي عن العرباض بن سارية قال: «**وَعَظَنا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنها العُيونُ وَوَجِلَتْ مِنها القُلوبُ، فَقالَ قائِلٌ يا رَسُولَ الله كَأَنَّ هذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَماذا تَعْهَدُ إلَينا؟ فقال: أُوصيكُمْ بِتَقْوى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإنْ عَبْداً حَبَشِيًّا فَإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدي فَسَيَرى اختِلافاً كَثيراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتي**».

ومعنى سنتي يعني: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وإقراره وصفاته. «**فَعَلَيْكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ تَمَسَّكوا بِها، وَعَضُّوا عَلَيها بِالنَّواجِذِ وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمورِ، فَإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».

وقال ابن مسعود: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة).

يعني الصحابي الذي مات وقد رضي عنه رسول اللّه ﷺ هذا مأمون من أن نفتن بأقواله، أما الحي فقد يخطئ، وقد يجتهد، وترون وتسمعون كم من كتاب صدر وفيه من الضلالات ما لا تعد ولا تحصى، فالأحياء يفتنون، أو يتوهمون، أو تأتيهم ضغوط، أو تأتيهم إغراءات، فكأن هذا الصحابي الجليل أدرك أن الشيء الذي مات عليه النبي ﷺ هو السُّنَّة، أما المفتوح لغير المعصوم فهو مظنة خطأ، مفتوح لغير معصوم.

أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم اللّه لصحبة نبيه.

«**إن الله اختارني واختار لي أصحاباً**». [عن أنس رضي الله عنه].

أولئك قوم اختارهم اللّه لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم لذلك: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»(١).

مما يقتضيه الإيمان أن تكف لسانك عن أن تخوض فيما يتناقله الناس، أو فيما يتوهمه بعض الناس من أخطاء بعض الصحابة.

وقال عمر: السُّنَّة ما سنّه اللّه ورسوله، ولا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّة للأمة.

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود.

oneikanar.com

السُّنَّة ما سنَّه الله ورسوله، أنت لاحظ هناك مشكلات كثيرة جداً يعاني منها المسلمون، هذه الموضوعات ما طرقها الصحابة الكرام أبداً، ولنضرب على ذلك مثلاً خلق القرآن، هل بحث أصحاب النبي عليهم رضوان الله بموضوع خلق القرآن، كم كانت فتنة عمياء في العصور العباسية حينما جاء من يقول: إن القرآن مخلوق، هذا الموضوع بأكمله ما بحثه أصحاب رسول الله إطلاقاً.

وقال بعض الصحابة: لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السُّنَّة أثراً، فاجتهد برأيه ثم قال: هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله.

الإمام أحمد بن حنبل جاءه وفد من المغرب ومعه ٣٣ سؤالاً، أجاب عن ١٧سؤالاً. والباقي قال: لا أعلم، قال الإمام أحمد بن حنبل: لا يعلم؟ قال: قولوا لهم الإمام أحمد بن حنبل لا يعلم.

كلما كنت أكثر إيماناً وأكثر ورعاً تتهيب أن تقحم نفسك في موضوع لم تحط به علماً، لا تملك له دليلاً، فكلمة لا أدري وسام شرف لطالب العلم، وهذا الذي يتوهم أنه يعلم كل شيء لا يعلم شيئاً.

إذاً: من لوازم الإيمان الاتباع، اتباع من؟ اتباع المعصوم فيما أمر والانتهاء عما عنه نهى وزجر، ثم اتباع أصحابه الذين شهد لهم بالفضل، «**فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

ومن نواقض الإيمان: الاختلاف:

الشيء الذي ينبغي أن يذكر في موضوع مفهوم الإيمان أن الدين واحد، الدين لا يتعدد أبداً، الدين أن تخضع لله، الدين أن تطيع الله، الدين أن تصدق بوحي الله، الدين أن تكون محسناً، فالدين لا يتغير أبداً، لكن الشرائع تتغير، فالشريعة التي جاء بها موسى غير الشريعة التي جاء بها عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وغير الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ. الشرائع متعلقة بالتطور، ومتعلقة بتعاقب الحياة الاجتماعية، الدين واحد والشرائع متبدلة.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

بالمعنى الواسع أن تستسلم لله عز وجل، أن تخضع له، أن تطيعه، أن تحبه. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، لذلك أيها الإخوة هذا الإيمان الذي محور هذا الدين

العظيم له خصائص، من خصائصه أنك إذا كنت مخلصاً وهديت إلى الحق بتوفيق الله عز وجل تشعر أن الحق لا يتعدد ولا يمكن أن يتعدد الحق.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

لكن: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

الشرعة والمنهج تتغير بتغير الأزمان، من نبي إلى آخر، بينما الدين هو عند الله الإسلام، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾، يضاف إلى ذلك أنه ما من نبي في القرآن الكريم إلا وصف بأنه مسلم، بمفهوم الإسلام الواسع، الاستسلام لله عز وجل والأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه. من لوازم الإيمان أن يبتعد عن الغلو وعن التقصير.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١].

أن يبتعد عن الغلو وعن التقصير، الغلو في الدين؛ يعني أن تأخذ فرعاً من فروع الدين وتجعله أصلاً، أو أن تأخذ قضية جزئية وتجعلها قضية كبرى، أو أن تأخذ فصلاً وتجعله كتاباً، هذا هو الغلو، والغلو في الدين سبب تفرقة المسلمين، يعني كل إنسان يعتز بما عنده من الدين، ويزدري الفروع الأخرى، ويرى أن الدين كله هو اختصاصه فهذه مشكلة كبيرة، هذه توقع الأمة في أزمات، وتوقع في مشادات، وفي خصومات وتفتت شمل الأمة، وتضعف قوتها وتذهب بريحها، فلا نغلو ولا نقصر.

وأجدني مضطراً أن أضرب هذا المثل، خطيب في هذه البلدة صعد المنبر وقال: من يصرف مائة جنيه فقد أكل الربا، كيف؟ لأن النبي ﷺ قال: «**يداً بيد وسواء بسواء**»، فهذه المائة جنيه قطعة واحدة، استبدلها بأربع قطع.

هذا غلو في الدين، ما أنزل الله به من سلطان، وصار هناك مشادة في هذا المسجد، يعني: أوقعت الناس جميعاً في الربا، هذا غلو، وهناك أمثلة كثيرة جداً، يعني الإنسان حينما يغالي ويريد أن يزدري دون أن يشعر، لا تبالغ، لا تغالي إن هذا الدين يسر إن الله رفع عن هذه الأمة الحرج، إن الله رفع عن أمة سيدنا محمد ﷺ الحرج، فحينما تأخذ الأمور بتشدد لا يحتمل، وبقسوة لا تقبل، وبفهم ضيق جداً، يعني مثلاً النبي ﷺ قال: «**البنت إذنها صمتها**»، إذا جاءك خاطب وعرضته على ابنتك فسكتت، فإذنها صمتها، في بعض المذاهب التي فيها غلو، لو أنها قالت: يا أبت أنا أوافق على الزواج من هذا الشاب، شاب جيد فيما أعلم، العقد باطل، لأنها تكلمت، أبلغ من السكوت كلامها، قُبِل منها السكوت فقط فإن تكلمت فكلامها أبلغ.

obeikandl.com

فتوى طُلِب مني البارحة أن أجيب عنها، أنه أنشئ صندوق عافية في محافظة، هذا عمل طيب، لكن هناك علماء قالوا: لا يجوز، لأن المريض لم يُملك المال، والله شيء عجيب، طيب الإسلام ألا يجيز أن يوكل الإنسان إنساناً لدفع زكاة ماله؟ يجوز، فلو وكل صندوق العافية بإنفاق زكاة المسلمين، ثم إن الصندوق وكّل المريض بأن يعطي الأجرة للمستشفى، انتهت العملية.

أيام تشعر أن قضية الغلو في الدين عقبة أمام قبول الدين، هؤلاء المتشددون بلا مبرر، المتشددون بلا نص، أو بلا فهم مرن للنص، هؤلاء عبء على الأمة، يعني أحياناً خمسة أشخاص يجتمعون يدفع كل إنسان ألف جنيه بالشهر يعطوا أول شهر لفلان خمسة آلاف عنده مشكلة يحلها، قال: هذه حرام، والله لا أشعر أن هذه فيها حرمة إطلاقاً، لا فيها زيادة، ولا فيها ربا، ولا فيها حظ، عبارة عن تعاون، فالأشياء المألوفة جداً التي ليس فيها شبهة إطلاقاً، ولا تخالف أي نص فقهي، حينما نحرمها نكون قد غلونا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

ويوجد غلو أخطر بكثير والعياذ بالله يؤدي لإلغاء فرائض الدين وأركانه مثل من يقول: الزكاة فقط على الذهب والفضة لأن النص هكذا، والذي عنده عشرين مليون دولار، ما في عليه زكاة، لأن هذا ورق، ألغيت الزكاة بهذه الطريقة، يعني هناك فهم والعياذ بالله لا يقبل إطلاقاً، فلذلك الإيمان بين الغلو وبين التقصير، التساهل، عدم التدقيق، عدم الورع، عدم التطبيق.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾. [المائدة ٨٧ ـ ٨٨].

على موضوع الغلو والتقصير في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عبادته في السر.

«جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»».

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، لا تغلو ولا تقصروا، طبعاً هناك أمثلة كثيرة جداً على الغلو في الدين، لكن أبرز ما في هذه الأمثلة أن تأخذ فرعاً صغيراً

من فروع الدين وتجعله أصلاً من أصوله، وتقاتل من أجله.

ومن خصائص هذا الدين العظيم: أن هذا الإيمان ينبغي أن يبتعد عن التشبيه والتعطيل فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وبالمناسبة قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، إذا أثبت الله لذاته العلية السمع والبصر، فلا ينبغي أن تنفي عن الله السمع والبصر، لا تعطل ولا تشبه، لذلك في القرآن الكريم بعض الآيات القليلة التي تتحدث عن ذات الله عز وجل، نحن بين أن نفوض إلى الله معناه، أربع خمس آيات، ليس غير، بين أن نفوض لله معناها، يعني لها معنى يليق بكمال الله، أو أن نؤوّلها تأويلاً يليق بتأويل كماله أيضاً، لكن ممنوع أن نشبه الذات العلية بشيء آخر، وممنوع أن نعطل صفة أثبتها الله لذاته، لذلك نحن فيما يتعلق بالذات الإلهية لا نستطيع أن نضيف على القرآن ولا على السُنّة شيئاً، نكتفي بما وصف الله ذاته العلية وبما وصفه النبي، أما أن نخترع صفات ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا يتناقض مع مفهوم الإيمان.

شيء آخر: أنا أعطيكم الخطوط العريضة لخصائص الإيمان، الدين واحد والشرائع متعددة، الغلو منهي عنه، والتقصير منهي عنه، تعطيل صفات أثبتها الله لذاته منهي عنها وتشبيه الذات الإلهية، يعني مرة قال أحدهم: إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا كما أنزل أنا، هذا شيء باطل والعياذ بالله، لا تشبه ولا تعطل، وابتعد عن أن تشبه، أو عن أن تعطل، واكتف بما وصف الله صفاته العلية، والأكمل أن تفوض لله معنى هذه الآيات التي لا تزيد عن أصابع اليد المتعلقة بالذات الإلهية، العقل البشري لا يستطيع أن يحيط بالله عز وجل، يصل إليه ولا يحيط به.

ومن لوازم الإيمان، ومفهوماته: ألا تعتقد أن الله أجبرك على أعمالك إطلاقاً، إذا اعتقدت بالجبر فعقيدتك فاسدة، لأنك إذا اعتقدت بالجبر ألغيت الجنة والنار والثواب والعقاب، ما ذنب هذا الذي أجبر على معصية في الدنيا أن يستحق جهنم، ما له ذنب، فالذي يعتقد أن الله أجبر عباده على فعل المعاصي من يعتقد هذا فهو فاسد العقيدة، الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

obeikandl.com

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

يعتقد المؤمن الصادق أن أفعاله مبعثها من اختياره، وأن فعلها من الله عز وجل الفعل فعل الله، والباعث من اختيارك أنت، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الفعل فعل الله، والاختيار اختيار الإنسان، وأنت محاسب على اختيارك، لأنك لو اخترت الحق والطريق الصحيح لأعانك الله عليه وهذا من قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

أما إذا أصررت على عمل سيئ لأنك مخير فإن الله عزَّ وجلَّ يمكنك منه من دون أن يكون على حساب أحد إطلاقاً، المفهوم الصحيح للإيمان بين الأمن وبين اليأس يعني أن تعبد الله رغباً ورهباً، أن ترجو رحمته، وأن تخشى عذابه، أي يكون في قلبك محبة وخوف وتعظيم، الإنسان لا يتحرك بالخوف فقط، كما أنه لا ينبغي أن يفهم الدين على أن الله سبحانه وتعالى لن يعذب أحداً، هؤلاء موجودون، يعني حسن ظن بالله غير صحيح يعني نهى الله عنه، إنسان غرق بالمعاصي، يعني إنسان تارك الصلاة كلياً، ماله كله حرام، شارب خمر، يموت، تراه ابنته بالمنام وجهه يطفح نور. هذا كلام غلط كبير بين أن تكون ساذجاً فتفهم أن الله لن يعذب أحداً، مع أن الله عز وجل يقول:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

ولا تيأس من رحمة الله.

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

أن تعبده راجياً، وأن تعبده خائفاً، أن تعبده راغباً، وأن تعبده راهباً، رغباً ورهباً، راجياً وخائفاً، أن تذكر رحمته وأن تذكر عذابه، يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك، قال: أحب عبادي إلي تقي القلب نقي اليدين لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي، قال: يا ربي إنك تعلم أنني أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال ذكّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي، ذكّرهم بآلائي كي يعظموني، وذكّرهم بنعمائي كي يحبوني، وذكرهم ببلائي كي يخافوني، أي: لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن محبة وخوف وتعظيم.

هكذا الإيمان، خوف ورجاء، أمل وخشية، طمع برحمة الله وخوف من عقابه، وهذا كلام للدعاة، لا تجعل الخطبة كلها جهنم والنار والثعابين، طوّل بالك، وكل الحياة جنة، والله غفور رحيم، وافعل ما بدا لك، وشفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أيضاً خطأ، ينبغي أن توازن بين تخويف الناس بالنصوص والأدلة، وبين تطمينهم بالنصوص والأدلة، وكأن الخطين ينبغي أن يتلازما في الدعوة إلى الله عز وجل.

بين الأمن واليأس ـ بين الجبر وعدم الجبر ـ بين التشبيه والتعطيل ـ بين الغلو والتقصير ـ والدين واحد ـ والشرائع مختلفة.

أيها الإخوة: مفهومات الإيمان دقيقة جداً، وسوف نأتي على موضوعات دقيقة جداً من موضوعات العقيدة، وأنا أقول وأكرر أن أخطر شيء في هذا الدين هو العقيدة إن صحت صح العمل، وما من انحراف في سلوك المسلم إلا بسبب ضعف في عقيدته أو خطأ في عقيدته، يا ضعف يا خطأ، فلو صحت العقيدة صح العمل، والعقيدة ميزان، والخطأ في الميزان لا يصحح، بينما الخطأ في السلوك يصحح، وزن الخطأ في الميزان لا يصحح بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر، فأفضل ألف مرة أن يكون الخطأ في السلوك من أن يكون الخطأ في العقيدة.

هكذا تعلمنا من شيخنا الإمام محمد متولي الشعراوي، وسوف نذكر نص الحوار ثم التعليق وننبه عند انتهاء كلام الشيخ وبداية كلام التعليق وفضلاً اقرأ هذا التمهيد بالترتيب واصبر عليه.

والحمد لله رب العالمين

المعلق
شريف كمال عزب

obeikandl.com

تمهيد المحقق

موقف أهل السُّنَّة والجماعة من البدع والمبتدعة

١

أولاً: حقيقة الدين

الدين الحق الذي لا يجوز لأحد خلافه هو اتباع كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه ﷺ. وإجماع أمة الإسلام، وهذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين المعصومة فقط التي لا يتطرق إليها خلل مطلقاً.

فأما الكتاب فهو كلام الله الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، [فصلت: ٤٢] كتاب قد فصل الله آياته، وجعله هداية للعالمين، وأمرنا بتدبره، وتعلمه، وأعلمنا سبحانه أنه قد يسره للذكر. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] فلا حجة لأحد في الإعراض عنه بأي عذر، فهو بلسان عربي مبين، وهو واضح المقاصد، بيّن الهدف، محكم العبارة، مفصل القول. قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وأما السُّنَّة النبوية فهي معصومة بعصمة الله لنبيه، لأن الرسول ﷺ هو شارح القرآن، ومبينه بأقواله وأفعاله وتقديره. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وكذلك هو الذي أنزلت عليه الحكمة كما أنزل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والكتاب القرآن، والحكمة سنته ﷺ.. وقد أوتي النبي الكريم القرآن ومثله معه وهي سنته، وفيها من الأحكام في الحلال والحرام، والوجوب والندب، والتحريم مثل ما في القرآن من الأحكام..

كما قال ﷺ: «ألا وإني أوتيت هذا الكتاب، ومثله معه»[(١)].

وأدلة عصمة السُّنَّة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) عن المقدام بن معدي يكرب في صحيح الجامع الصغير برقم(٢٦٤٣).

[النجم: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

وأما الإجماع فهو: اتفاق أمة الإسلام على قول في الدين، وقد أخبر ﷺ أن أمته لا تجتمع على ضلالة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. فجعل سبيل المؤمنين واجب الاتباع كالقرآن والرسول ﷺ.

وقد أجمعت الأمة على معظم قضايا الدين: ككمال القرآن، وحجية السُّنَّة، ووجوب العمل بها، وخلافة الصديق، وصحة قتال المرتدين، والصلوات الخمس، والأذان والإقامة... إلخ مما أجمعوا عليه.

وهذا الذي قدمناه يعني ـ بحمد الله ـ أن مجمل قضايا الدين عقيدة وشريعة ثابتة، واضحة، لأن القرآن حوى معظم الأحكام، وأصول التشريع في كل شأن من شؤون حياتنا، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] والسُّنَّة لم تترك أدق التفاصيل في حياة المسلم إلا وقد بينته، ووضحته، وأصحاب رسول الله ﷺ بحمد الله قد طبقوا الدين كله، وأجمعوا على عامة أصوله وكثير من فروعه، بل ليس لهم خلاف في قضية أصولية عقائدية أصلاً، وإنما خلافاتهم في فروع من الدين يجوز فيها الخلاف ولا يتوقف عليها كفر، وإيمان.

٢

ثانياً: البدع والأهواء والفرق

ومعلوم أن كثيراً ممن انتسبوا إلى الإسلام قد اختلفوا في حقيقة الدين، وخالفوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وخرجوا عن إجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، واتبعوا أهواءهم، وجعلوا هذه الأهواء أقوالاً واعتقاداً، وتحزبوا حولها، وافترقوا بها عن سائر الأمة ممن بقي متمسكاً بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وهذه الأهواء لا شك أنها نشأت جميعاً بعد قرن الصحابة، فلم يكن من الصحابة أحد ـ بحمد الله ـ داعياً إلى بدعة، ولا صاحب هوى ولا صاحب طريقة مخالفة للكتاب والسُّنَّة، وإنما نشأت البدع فيمن بعدهم، وتصدى أصحاب رسول الله ﷺ لبيان هذه البدع.. كما تصدوا لبدعة الخوارج، والقدرية، والمرجئة. ثم نشأت البدع الأخرى كالرافضة، والجهمية ومنكري الصفات، والباطنية ممن يظهرون معتقداً ويخفون ديناً آخر، ويحملون القرآن والسُّنَّة على دينهم الباطني الباطل الذي لم يكن عليه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

obeikandl.com

ولا شك أن المسلم ليعجب أشد العجب عندما يقف على مقالات الفرق التي انتسبت للإسلام حيث يرى أقوالاً واعتقادات هي في غاية الكفر والشناعة والتردي إلى مهاوي الانحطاط والرذيلة!! ومن ذلك على سبيل المثال القول بحلول ذات الله وصفاته في ذوات المخلوقين، واكتساب بعض المخلوقين صفات الرب سبحانه وتعالى من الإحياء، والإماتة، والرزق، والخلق، وإدخال الجنة، والإخراج من النار، والعلم بالغيب كله..

ومن الأقوال الشنيعة كذلك تفضيل بعض البشر على الرسل والأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتكفير أصحاب رسول الله ﷺ إلا ثلاثة فقط، والقول بتحريف القرآن ونقصه، والقول برجعة الناس إلى الدنيا للحساب على أعمالهم قبل يوم القيامة وأن الذي يحاسبهم هو الحسين بن علي رضي الله عنهما، أو علي رضي الله عنه!!

ومن الأقوال الشنيعة كذلك، تكفير المسلم بالمعصية، وتكفير علي بن أبي طالب، وعثمان رضي الله عنهما، وتكفير الحكمين، والخروج على المسلمين بالسيف لمعاصيهم، والقول بخلود مرتكب الكبيرة، ونفي رؤية الله تعالى في الآخرة.

ومن الأقوال البالغة في الكفر والمروق القول بوحدة الوجود، وأنه لا موجود إلا الله، وأن ما عداه هو العدم، وأن محمد بن عبد الله ﷺ هو التجسد الكامل لله سبحانه وتعالى.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولو ذهبنا نعدد مقالات الفرق الضالة لبلغ ذلك المجلدات. والقصد هو بيان أن أهل الإسلام والمنتمين له اختلفوا في حقيقة الدين اختلافاً كبيراً كما كان الشأن فيمن قبلهم من اليهود والنصارى كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فأخبر الله سبحانه أن الذين أوتوا الكتاب هم الذين اختلفوا فيه، وأن منهم من هداه الله إلى الحق، ومنهم من ضل سواء السبيل.. كما قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[1].

وقد بعث رسول الله ﷺ والأرض مليئة باليهود والنصارى، ولكنهم جميعاً كانوا

(١) أخرجه أبو داود (٥٤٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠) عن أبي هريرة. انظر صحيح الجامع (١٠٨٣).

كفاراً مشركين، حكم الله تعالى بكفرهم وشركهم وضلالهم مع ادعائهم أنهم على الحق، وأنهم أهل الجنة دون الناس، ولا شك أن هذا وقع في أمة محمد ﷺ إلا أن الله سبحانه وتعالى وفق هذه الأمة وميزها بأن تبقى منها طائفة متمسكة بالدين الحق، ظاهرة عليه، ولا تزال كذلك إلى قيام الساعة، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم الدجال**»[١].

٣

ثالثاً: من هم أهل السُّنَّة والجماعة؟

ذكرنا أن الاختلاف وقع في أتباع الإسلام كما وقع في اليهود والنصارى، وأن الله امتنَّ على هذه الأمة الإسلامية بأن جعل منها طائفة على الحق إلى قيام الساعة، فمن هذه الطائفة؟ وما صفاتها؟

والجواب: إن أهل السُّنَّة، والجماعة، والطائفة الحقة المنصورة الباقية على الدين الصحيح إلى قيام الساعة هم الذين اعتصموا بأصول الإسلام المعصومة، وهذه الأصول هي الكتاب، والسُّنَّة، وما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وقد بينا أن هذه الأصول هي الأصول المعصومة، التي لا يتطرق إليها خلل، أو شك.

وأهل السُّنَّة يردون كل قول، وكل خلاف إلى هذه الأصول، فما وافق الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، قبلوه، وما خالفها رفضوه من قائله كائناً من كان، فإنه لا أحد معصوماً، ولا قولاً معصوماً سوى ذلك، أي: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

وقد سميت هذه الطائفة بأهل السُّنَّة لأنهم تمسكوا بسنة رسول الله ﷺ. وهذا أصل واجب الاتباع، وكذلك في المقابل أهل البدعة الذين اخترعوا أقوالاً، وأعمالاً مبتدعة في الدين جعلوها أصلاً يجتمعون عليه، ويتسمون به، ويفترقون به عن أهل الإسلام، كما زعم الرافضة أن الله أنزل خلافة علي، وأحد عشر من أولاده نصاً في القرآن، وكلام الرسول ﷺ، واجتمعوا على ذلك وسموا أنفسهم شيعة، ورافضة.

كذلك اخترع الخوارج مقالات في الدين: كتحريم الاجتهاد، وقولهم (**لا حكم إلا لله**) يعنون نص القرآن، وهي كلمة حق يراد بها باطل، وأن مرتكب الكبيرة كافر، حلال الدم، مخلد في النار، ومن أجل ذلك افترقوا بأنفسهم عن سائر المسلمين فكفَّروا عليًا، وعثمان، ومعاوية، والحكمين، وخرجوا على الجميع بالسيف، فسموا: «**خوارج**» بفعلتهم القبيحة، وسموا أنفسهم: (**الشراة**) زاعمين أنهم

(١) صحيح الجامع (٧٢٨٧، ٧٢٩٦).

obeikandl.com

شروا أنفسهم لله. . . ، وهكذا كل أصحاب بدعة تسموا ببدعتهم، أو برأس بدعتهم، ومخترع مقالتهم، أو من نسبوا أنفسهم إليه، وليس هو منهم كالإسماعيلية والقدرية والجهمية. . . إلخ، والمرجئة.

وأما أهل السُّنَّة، والجماعة، فإنهم تسموا بهذا الاسم (**الجماعة**) لالتزامهم بالجماعة، وهي جماعة أهل الإسلام، ونبذهم الفرقة، والخلاف، وحكمهم بإسلام كل من قال: لا إله إلا الله، ولم يخرج عنها بمكفِّر ظاهر.

ومن أجل ذلك كان أهل هذه الطائفة الحقة هم الذين قام فيهم الإسلام واضحاً جلياً من حيث الاتباع، والالتزام، والحفظ، والتعهد فهم أهل الحديث، والفقه، وهم علماء الحديث، والأثر المتقدمين بحمد الله على هذا المنهج الحق، وجميع فقهاء أهل الإسلام المشهورين، وأئمة الدين المتبوعين، وسادة المسلمين من الصحابة والتابعين.

وشأن هذه الطائفة الاجتماع على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ. ونبذ الفرقة، والخلاف، ولذلك كانوا بحمد الله هم سواد أهل الإسلام وعامة المسلمين وأما غيرهم ففرق، وشراذم، وأهل ضلالات يظهر بعضها، ويختفي بعضها على مدى العصور، وتنتشر ضلالتهم حيناً، ثم تختفي، وتبور أحياناً أخرى.

وأهل السُّنَّة، والجماعة هم الأمة الحقيقية للإسلام، والسواد الأعظم، والقرون الإسلامية المتصلة جيلاً بعد جيل، والطائفة الظاهرة المنصورة القائمة باقية قولاً وعملاً على مدار السنين، والتي حافظت على أصول الإسلام المعصومة، وعملت بمقتضاها في الجملة. وهذه الأصول هي: الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع أصحاب رسول الله ﷺ.

وحصر الإجماع في أصحاب رسول الله ﷺ فقط، إنما كان لأنه لم يتحقق إجماع بمعنى الإجماع إلا في زمانهم، ولأن الله سبحانه وتعالى شهد لهم بالإيمان والفضل، وأثنى عليهم في كتابه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وشهد لهم بالفضل، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وشهد سبحانه أنه رضي عنهم كما قال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وأخبر أنه سبحانه قد تاب عليهم كما قال جل وعلا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

ووعدهم الله عز وجل بالنصر، والتمكين، ووفى لهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥] وقد فعل سبحانه.

نعم، قد كان فيهم منافقون بيّن الله أخبارهم، وهتك أستارهم، ولكنهم كانوا قلة معلومة محصورة. وأما عامة الصحابة وسوادهم، فكانوا من المؤمنين المخلصين المتقين، ولذلك قال لهم الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذا أُطلق اسم الجماعة، كما جاء الحديث: «**عليكم بالجماعة**»، كان أول من يدخل في مسمى الجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ كما قال ﷺ: «**إن الله لا يجمع أمتي**» أو قال: «**أمة محمد على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**»[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**إن الله تعالى اطّلع في قلوب العباد، فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته، وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعده، فاختار له أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه، ووزراء نبيه ﷺ. فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح**»[2].

ومن أجل ذلك، فإن أهل السُّنَّة، والجماعة، يجعلون إجماع الصحابة على أمر ما حجة قاطعة في الدين، ويقدمون فقههم واجتهادهم على كل فقه واجتهاد، ويفسرون القرآن ويفهمون السُّنَّة على النحو الذي طبّقوه، فهم أعني أصحاب النبي ﷺ، هم قدوة أهل السُّنَّة والجماعة في فهم الإسلام، والعمل به.

ومن أجل هذا، كانت البدعة هي ما خالف القرآن، والسُّنَّة، وإجماع أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢١٦٨) في كتاب الفتن باب لزوم الجماعة، والحاكم (١/ ١١٦).
(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٣٦٠٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٧).

obeikandl.com